أفق التوقع عند المتلقي
في ضوء النقد الأدبي الحديث
دراسة نظرية تطبيقية

المؤلف
الدكتور/ مسلم عبيد فندي الرشيدي

الملـخـــــــص

تناولت في هذا البحث أفق التوقع عند القارئ في ضوء النقد الأدبي الحديث، دراسة نظرية تطبيقية، وعُرف منهج أفق التوقع في هذا العصر ضمن مجموعة من المناهج النقدية الغربية في النقد العربي الحديث الذي يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي لقصدَ تأويل الصور المتخيلة، وقد ظهرت نظرية التلقي في ألمانيا عام ١٩٦٦م في مدرسة كونستانس على يدي كل من هانز روبير ياوس، وفولفغانج إيزر ، ومنظور هذه النظرية أنها تثور على المناهج الخارجية التي ركزت كثيرا على المرجع الواقعي؛ كالنظرية الماركسية أو الواقعية الجدلية أو المناهج التي اهتمت كثيرا بالمبدع وحياته وظروفه التاريخية، وكذلك المناهج النقدية التقليدية التي كان ينصب اهتمامُها على المعنى وتصيُّدِه من النص باعتباره جزءا من المعرفة والحقيقة المطلقة، ومن ذلك منهج البنيوية الذي انطوى على النص المغلق وأهمل عنصرا فعالا ألا وهو القارئ الذي ستهتم به نظرية التلقي؛ وهذه النظرية هي نوعٌ جديدٌ من النقد الأدبي يوجه اهتمامه كله نحو استجابة القارئ، وقد تضافرت مجموعة من العوامل على إخراج هذه النظرية، لعل أهمها "حالة الفوضى والاضطراب التي كانت سائدة في نظريات الأدب المعاصرة، والسخط العام تجاه قوانين الأدب ومناهجه التقليدية السائدة.

وهدف نظرية التلقي تجديد التاريخ الأدبي وتفعيله، ونقل مركز الاهتمام من مبدع العمل الفني ومن عملية إنشائه إلى المتلقي.

وجاء هذا البحث بمقدمة وفصلين وخاتمة، ذكرت في المقدمة نشأت نظرية التلقي والفكرة

الأسلسية لها، وجاء الفصل الأول عن الدراسة النظرية وأهميتها، ثم الفصل الثاني الدراسة

التطبيقية وتحليل فكرة القارئ ، وقد انتهى البحث بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج التي توصّلت إليها.

Research Title:
Expectation Horizon of the Recipient According to the modern LiteratureCriticism
Applied Theoretical Study

Author
Dr. Muslm Obiad Alrashedi

Abstract

this research studied the expectation horizon of the reader according to the modern literature criticism, applied theoretical study, and in this time the methodology of expectation horizon is known as being included in a group of western critical methodologies in the modern Arabian criticism focusing on the reader during his interacting with the literature text for purposes of explaining of the imagined pictures, reception theory has been appeared in Germany year ١٩٦٦ in constance school by Hienz Robert yaous, and volgang izer ,and this theory's perspective is to rebel the external methodology which more focused on realistic reference as the Marxist theory or dialectic reality or

the methodology focusing on the innovative and his life , historical conditions and also the traditional critical methodologies focusing on the meaning and being selected within the text as a part of the absolute knowledge and reality, including structuralism methodology which includes the closed meaning and neglecting effective element that is the reader who was looked after by reception theory, and this theory is new type of the literature criticism looking after the reader's response , and there is a group of factors and elements contributed in producing this theory, the most important one is " chaos and disorder existing in the contemporary literature theories, and general anger towards the literature laws and availing traditional methodologies.

this reception theory aimed at renewing and activating the literature history and transferring the interest center from art work's innovative and construction's process to the hearer.

This research includes an introduction and two chapters and conclusion, within the introduction, I mentioned the beginning of the reception theory and its basic idea, and the first chapter mentioned the theoretical study and its importance , then the second chapter with the applied study and analysis of the reader's idea, and the research ended with a conclusion including the most important results.

≅ ≅ ≅

المقدمـــــــــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد؛ عُرف في هذا العصر مجموعة من المناهج النقدية الغربية في النقد العربي الحديث وذلك نتيجة الانفتاح على الثقافة الغربية لقصد الترجمة والتعلم، ومن هذه المناهج منهج التلقي الذي يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي لقصدَ تأويل الصور المتخيلة، وقد ظهرت نظرية التلقي في أواسط الستينيات في ألمانيا عام (١٩٦٦م) في مدرسة كونستانس على يدي كل من هانز روبير ياوس، وفولفغانج إيزر، ومنظور هذه النظرية أنها تثور على المناهج الخارجية التي ركزت كثيرا على المرجع الواقعي؛ كالنظرية الماركسية أو الواقعية الجدلية أو المناهج التي اهتمت كثيرا بالمبدع وحياته وظروفه التاريخية، وكذلك المناهج النقدية التقليدية التي كان ينصب اهتمامُها على المعنى وتصيُّدِه من النص باعتباره جزءا من المعرفة والحقيقة المطلقة، ومن ذلك منهج البنيوية الذي انطوى على النص المغلق وأهمل عنصرا فعالا في عملية التواصل الأدبي ألا وهو القارئ الذي ستهتم به نظرية التلقي؛ وهذه النظرية هي نوعٌ جديدٌ من النقد الأدبي يوجه اهتمامه كله نحو استجابة القارئ، وقد تضافرت مجموعة من العوامل على إخراج هذه النظرية، لعل أهمها "حالة الفوضى والاضطراب التي كانت سائدة في نظريات الأدب المعاصرة، والسخط العام تجاه قوانين الأدب ومناهجه التقليدية السائدة[١].

(١) محمد، عبد الناصر حسن،٢٠٠٢، نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، دار النهضة العربية، القاهرة،ص ٥.

لقد شكلت نظرية التلقي ثورة في دراسة الأدب حين نقلت الاهتمام إلى المتلقي الذي أهملته المناهج والنظريات السابقة التي ركزت على المبدع أو النص.

وهدف نظرية التلقي تجديد التاريخ الأدبي وتفعيله، ونقل مركز الاهتمام من مبدع العمل الفني ومن عملية إنشائه إلى المتلقي(١).

وهناك بعض الأسئلة التي تنطوي على فكرة البحث وأهدافه، ومنها:

ما هو أفق التوقع؟، وما هي جذوره بالنقد الأدبي ؟، وما هو الجديد بهذا المنهج؟.

وكانت الإجابة عن هذه الأسئلة في هذا البحث تمثلت في المقدمة، والفصل الأول (الدراسة النظرية)، وقد تضمنت عدد من العناوين المهمة، وكذلك الفصل الثاني (الدراسة التطبيقية) وقد تضمنت نص تطبيقي وتحليل فكرة القارئ، ثم الخاتمة لهذا البحث.

≅ ≅ ≅

(١) ستاروبيسنكي، جان، وآخرون،٢٠٠٠، في نظرية التلقي، ترجمة غسان السيد، دار الغد، دمشق، ص ١١٢.

الفصل الأول: الدراسة النظرية لأفق التوقع

التعريف بمفهوم أفق التوقع:

إن مفهوم أفق التوقع مفهوم جمالي يلعب دوراً مؤثراً في عملية بناء العمل الفني والأدبي، وفي نوعية الاستقبال التي يلقاها ذلك العمل انطلاقاً من المتلقي الذي يُقبل على العمل وهو يتوقع أو ينتظر شيئاً ما.

لقد استعار ياوس هذا المصطلح من الفلسفة، وأراد به المقاييسَ التي يستخدمها المتلقّي في الحكمِ على النصوص الأدبيةِ في أيّ عصرٍ من العصور، وعرَّفه جان بأنه " شاشة التلقي المحددة من خلال توقعات القارئ وأحكامه المسبَّقة[١]" وقال إنه منظومة من المعايير والمرجعيات لجمهور قارئ في لحظة معينة يتم انطلاقا منها قراءة عمل وتقويمه جماليا ويمتلك هذا العمل أفقه للتوقع الذي يتشكل من العوامل الآتية:

١- التجربة التي يمتلكها جمهور عن الجنس الذي يعود إليه العمل ويتعلق الأمر بمقابلة أفق توقع الجمهور مع أفق التوقع الذي يقدمه العمل، ومن هنا تأتي احتمالات القبول، بسبب التطابق بين الأفقين، أو الرفض والاستنكار، وعدم الفهم في حالة الاختلافات الواضحة بين الأفقين[٢].

٢- الانزياح بين اللغة واللغة الشعرية المستخدمة ؛فإن دراسة التلقي تركز على فحص العلاقات بين أفق انتظار العمل وأفق انتظار الجمهور. ويفسر الاستقبال التدريجي للأعمال التجديدية من خلال تطور الذوق،

---

(١)المرجع السابق، ستاروبيسنكي، جان، في نظرية التلقي، ص٦٦.
(٢)المرجع السابق، ٩٥.

ومعايير تقويم الجمهور والنقد إزاء أفق التوقع(١).

ويعرفه آخرون بأنه مجموعة التوقعات الأدبية والثقافية التي يتسلح بها القارئ عن وعي أو غير وعي في تناوله للنص وقراءته(٢).

ويرى هولب أن ياوس قد عرف مصطلح الأفق تعريفا غامضا للغاية، معتمدا في إفهامه على الإدراك العام لدى القارئ،ثم يخلص إلى أن مصطلح أفق التوقعات ربما ظهر لكي يشير إلى نظام ذاتي مشترك أو بنية من التوقعات، أو نظام من العلاقات أو جهاز عقلي يستطيع الفرد أن يواجه به أي نص(٣).

وتعريف ياوس إذ قال: ونقصد بأفق التوقع نسق الإحالات القابلة للتحديد الموضوعي الذي ينتج لأي عمل في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها، وحدد ياوس العوامل الأساسية التي تصنع نسق الإحالات القابل للتحديد الموضوعي أي أفق التوقع، و حصرها في ثلاثة عوامل:

١ ــ المعرفة القبلية التي يكتسبها القارئ عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه العمل الأدبي الذي سيقرأه، ذلك أن (العمل الأدبي

---

(١) المرجع السابق، ستاروبيسنكي، جان، في نظرية التلقي، ص٩٦.

(٢) الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد،٢٠٠٠م، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص١٣١.

(٣) هولب، روبرت،١٩٩٢م، نظرية الاستقبال، ترجمة رعد عبد الجليل(اللاذقية،دار الحوار، ط١، ص١٠٥.

– حتى في لحظة صدوره – لا يكون ذا جدة مطلقة تظهر فجأة في الفضاء.... فكل عمل يذكّر القارئ بأعمال أخرى سبق لهُ أن قرأها[١].

٢ – أشكال و موضوعات أعمال ماضية تفترض معرفتها في العمل أو ما عبر عنه ياوس في موضع آخر بالعلائق الضمنية التي تربط هذا النص بنصوص أخرى معروفة تندرج في سياقه التاريخي حيث إن النص الجديد: يستدعي للقارئ أو السامع مجموعة من التوقعات والتدبيرات التي عودته عليها النصوص السابقة والتي يمكن في سياق القراءة أن تعدل أو تصحح، أو تغير أو تكرر، فالقارئ يبني أفقا جديدا من خلال اكتساب وعي جديد.

٣ – التعارض بين اللغة الشعرية وهي (العالم الخيالي) واللغة العملية وهي (العالم اليومي)، الشيء الذي يسمح بمزاولة مقارنات أثناء القراءة بالنسبة للقارئ المتأمل إذ إن (هذا العنصر الأخير يسعف القارئ على إدراك العمل الجديد تبعا للأفق المحدود لتوقعه الأدبي، وتبعا كذلك

(١) هانس روبيرت ياوس، ٢٠٠٤م، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد ٤٨٤، ط١، ص ٤٤- ٤٥.

لأفق أوسع تعرضه تجربته الحياتية[١].

يتضح مما سبق أن ياوس يفترض في القارئ معرفة مهمة تكتسب عن طريق الدراية والممارسة من خلال معاشرة النصوص والإحاطة بالسنن الفنية التي تميز بين الأجناس الأدبية إذ يقول الدكتور أحمد بوحسن في هذا الصدد: يكون القارئ مدركا لتوالي النصوص في الزمان، بحيث ينفذ ببصيرته إلى النصوص التي تأتي باختلالات أو تشويشات جديدة على التقاليد الفنية القديمة، ثم يلتقط القارئ تلك البذور الفنية الجديدة التي تقوى على طرح تساؤلات جديدة على الانتظارات التقليدية الجارية المعهودة[٢].

ويفترق آيزر عن ياوس في المحرك النظري أو الإجرائي لمفاهيمه ونظراته ولا سيما في كيفية مقاربة المعنى وبنائه فضلا عن عنايته في ابتداع مفهوم إجرائي جديد وهو مفهوم القارئ الضمني عوضا عن أفق الانتظار أوالقارئ الحقيقي التأريخي لدى ياوس[٣].

≅ ≅ ≅

أهمية أفق التوقع

(١)إسماعيل، سامي، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفغانج إيزر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٤٦.

(٢)بو حسن، أحمد، نظرية التلقي في النقد الأدبي العربي الحديث، دراسة منشورة في كتابة نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٥،ص ٢٩.

(٣)صالح،بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب،٢٠٠١، ص٥١.

اهتمت الدراسات النقدية بمفهوم المؤلف حتى عُدَّ المؤلفُ مركزَ العمليةِ الإبداعيةِ، ثم ظهرت اتجاهاتٌ تدعو إلى تقويض سلطة المؤلف وتحطيمها، ووجهت اهتمامها إلى الأعمال الأدبية المفردة، وتقدير قيمتها،وأعطت المؤلف أقل اهتمام، ولكن البنيوية، وهي من الاتجاهات التي عنيت بالنص،أثارت مكونا مهما لم تقف عنده أو تنظر له كما فعلت بالعناصر الأخرى داخل النص، وهو القارئ، وعلاقة بالنص والتفاعل بينهما وغير ذلك من القضايا التي يثيرها قطب القراءة في النص، وهذا ما دعا إلى الاهتمام بهذا الجانب الذي لم يكن واضحا في المفاهيم الأدبية السابقة(١)، وهكذا ظهر اتجاه جديد في النظرية الأدبية يدعو إلى الاهتمام بدور القارئ والبعد عن سلطة المؤلف.

تعد مدرسة كونستانس الألمانية الموطن الحقيقي لنظرية التلقي، فقد أعاد هانز روبرت ياوس(٢)، وفولفغانج إيزر بناء تصور جديد لمفهوم العملية الإبداعية، ودور القارئ في إنتاج هذه العملية(٣)، وقدم كل منهما

(١)بو حسن، أحمد، نظرية التلقي في النقد الأدبي العربي الحديث. المرجع السابق.١٦.

(٢)يعد الناقد الألماني هانز روبرت ياوس، الذي ولد عام ١٩٢١ وتوفي عام ١٩٩٧، من أبرز أعلام مدرسة كونستانس التي عني أفرادها، بصورة عامة، بعلاقة دلالة النص الأدبي بالقارئ. وقد طور ياوس، مع زملائه في جامعة كونستانس الألمانية، وعلى رأسهم وفولفغانج إيزر، ما عرف في سنوات الستينات والسبعينات من القرن الماضي بنظرية التلقي ص.٣.

(٣)بو حسن، أحمد، نظرية التلقي في النقد الأدبي العربي الحديث. المرجع السابق.٢٦.

مجموعة من المفاهيم النظرية والإجرائية البديلة للمفاهيم البنيوية؛ فقد تجاوز ياوس أوجه القصور الخاصة بآراء مجموعة كبيرة من والمفكرين، وقد بدأ عمله بنقد الاتجاهات الشائعة لدراسة تاريخ الأدب فانتقد المنهج الوضعي لأنه عالج الأعمال الأدبية على أنها نتائج لأسباب مؤكدة، ولأنه التمس الإبداع الأدبي في تكرار الأفكار والموضوعات القائمة بمعزل عن التاريخ، وانتقد مفهوم الانعكاس، والفن للفن، ورأى أن المنهج الملائم لدراسة تاريخ الأدب هو جماليات التلقي لأنه يجمع بين مزايا الماركسية والشكلانية، لقد خرج ياوس من هذه الثنائية بما سماه جماليات التلقي، وهي تركز على التفاعل بين المؤلف وجمهوره(١)، وقد تحولت هذه الجماليات شيئا فشيئا إلى نظرية تواصل أدبية موضوع أبحاثها التاريخ الأدبي، كدعوى تخص ثلاثة عوامل: الكاتب والجمهور والنص.

وتتيح نظرية التلقي للقارئ نوعا من التصرف بمعاني النصوص، وتفتح أمام الناقد الباب مشرعا للافتنان في التأويل والتفسير، فقد اهتم ياوس بتأويل النص ولم يهتم بوصف النص وصفا علميا، وصاغ ياوس تعبير أفق التوقع الذي يعني عنده المسافة القائمة بين النص والقارئ. واجتياز هذه المسافة يتطلب أن ينصب الاهتمام على عملية التلقي بدلا من النص أو المؤلف أو التأثيرات الأدبية الجانبية. وهو يرى أن عملية التلقي تبدأ من زمن كتابة النص مرورا بتاريخ تلقيه وانتهاء بتأويله(٢).

---

(١)إسماعيل، سامي، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي ، المرجع السابق، ٤٥.

(٢)صالح،فخري، هانز روبرت ياوس من توقعات القارئ إلى معنى التجربة، علامات في النقد، مجلد ٨، ج٣٢، ١٩٩٩، ص ص٣٤٨- ٣٤٩.

لقد سعى ياوس لتجاوز الهوة بين التاريخ والأدب أو بين المعرفة التاريخية والمعرفة الأدبية، وكان يهدف من خلال ذلك إلى تحسين القواعد المؤسسة للفهم التأريخي للأدب(١).

لهذا طرح مفهوماً إجرائيا جديدا أطلق عليه أفق انتظار القارئ، قاصدا به الفضاء الذي تتم من خلاله عملية بناء المعنى ورسم الخطوات المركزية للتحليل ودور القارئ في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الأدبي الذي هو محور اللذة لديه(٢).

ويحتل أفق التوقع، أو أفق الانتظار موقعاً مركزياً في نظرية التلقي، فهو قد فرض نفسه كمفهوم أساسي لدراسات التلقي، وإن عملية التلقي لا تنفصل عن أفق التوقع لأن المتلقي هو الذي يعيد بناء هذا الأفق ومن ثم يمكن قياس أثر الأعمال ووقعِها على أساس الأفق الذي تم استخلاصه من هذه الأعمال. ولما كان التلقي لا يتوقف عند زمن بل يُخلق في كل زمن ، وإن لكل زمن قرّاه فإن هذا التلقي يختلف من زمن لآخر، ويختلف من قارئ لآخر حسب تكوينه النظري من حيث الميول والرغبات والقدرات وحسب خبرة المتلقي الاجتماعية والتاريخية والثقافية التي يحملها، وكل هذا يشكل مخزوناً لدى القارئ يتم تلقي النص على أساسه ، وتشكل لديه أفق توقع يعمل النص على إخراجه(٣).

---

(١)إسماعيل، سامي، جماليات التلقي، المرجع السابق، ص ٨٦.
(٢)صالح، بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المرجع السابق. ص٤٣.
(٣)خضر،ناظم:الأصول المعرفية لنظرية التلقي،عمّان،دار الشروق،ط١، ١٩٩٨،ص١٥٢.

والمتلقي حين يبدأ في الممارسة النقدية لعمل إبداعي ما فإنه يتوقع منه أن يستجيب لأفق انتظاره، ويتناغم مع الثقافة المعرفية والخبرة الجمالية التي اكتسبها فيما سبق، وتشكل له في الوقت نفسه تصوره للظاهرة الأدبية.

اعتمد ياوس على بديهة القارئ لفهم اصطلاحه الرئيسي أفق التوقع حيث أن الاصطلاح وجد في مجموعة كلمات ومقاطع مركبة: أفق التوقع، وأفق خبرة الحياة، وأفق البناء، والتغير الأفقي، والأفق المادي للحالات. ويقصد بأفق التوقعات لديه نظام التبادل الذاتي أو بناء التوقعات، باعتباره نظاما مرجعيا أو نظاما ذهنيا. حيث تكون افتراضات المتلقي صحيحة في أي نص أدبي" بمعنى أن ياوس يهتم بالتاريخ الأدبي باعتباره يتأسس على تجارب القراءة السابقة في التعامل مع العمل الأدبي، فتأثير النصوص مشروط باستمرار قراءتها والاستجابة لها، وهذا يبين أن النصوص الأدبية يتم تلقيها من خلال أفق توقعات القراء، ولذا فإن تأسيس تاريخ أدبي يستوجب رصد أفق توقعات القراء(١).

أفق التوقع البداية والامتداد:

أول تجمع نقدي التفت إلى القارئ عوضا عن النص هو مدرسة كونستانس الألمانية، وقد أطلق روبرت ياوس، على هذا النقد اسم جماليات التلقي، وتقوم جماليات التلقي على إن القارئ هو المستهدف في أي عمل

(١)إسماعيل، سامي، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي ، المرجع السابق، ص ٨٧.

أدبي ولا قيمة لذلك العمل إلا في أثناء قراءته، وإن النص الأدبي نص مفتوح يسمح بتعدد القراءات، وإن للقارئ مرجعياتِه التي تمكنه من تشكيل المعنى الأدبي للنص، والأثر الأدبي يحتوي رموزا ودلالات وإيحاءات تستطيع أن تثير لدى القارئ ما يمكن أن يعد نشاطا إبداعيا يوازي النشاط الذي أثاره في نفس كاتبه، وأن القراء لا يتساوون في نظرتهم إلى النص وهم ينقسمون على ثلاثة: القارئ العادي، والقارئ العارف، والقارئ الناقد، وأن القارئ الناقد هو الذي لا يستطيع إنتاج النص في نفسه فقط بل على الورق أيضا، وأنه لا وجود لقراءة محايدة، ولا بد من توافر الحد الأدنى من الموضوعية لدى القارئ الجيد ليتمكن من إعادة بناء السياق المناسب للنص، وتؤمن مدرسة كونستانس بأن القراءة المنتجة، أو القراءة الفعلية ضرب من المراوغة والتجسس على الكلمات، وهي بحث عن المضمر واقتحام للمجهول(١).

لعل ظهور فكرة أفق التوقع كان بمثابة محاولة من نقاد الستينيات لإنعاش التاريخ الأدبي، ويرى أنها تشير، في الأساس، إلى نسق أو بنية التوقعات الذاتية، أو المرجعية التي يأتي بها القارئ، أو المتلقي عند تعامله مع نص أدبي أو عمل فني(٢).

ومع أن أفق التوقع هو من المفهومات الأساسية في نظرية ياوس إلا أن ياوس لم يحاول تطويره ضمن إطار واضح، ولذلك حاول زملاؤه في مدرسة كونستانس وتلاميذه أن يتوسعوا بنظرية التلقي ومن

---

(١)خليل، إبراهيم: النقد الأدبي الحديث، دار المسيرة،عمّان، ط٢٠٠٣١،ص١٣٣، وانظر: العمري،محمد: في نظرية الأدب مقالات ودراسات، الرياض ،مؤسسة اليمامة،١٩٩٧، ص ،ص ١٢٠- ١٢٦.

(٢) صالح، بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المرجع السابق. ٤٦.

أهم الإسهامات في هذا المجال ما قام به وفولفغانج إيزر الذي اهتم بالعلاقة بين المتلقي والنص مع تركيزه على القارئ الفرد بعكس ياوس الذي اهتم بعملية التلقي في شموليتها. وكانت نقطة الانطلاق عند إيزر هي السؤال عن كيفية أن يكون للنص معنى لدى القارئ.

والمعنى هنا ليس هو المعنى المختبئ في النص، كما هو الأمر في الفهم التقليدي وإنما المعنى الذي نشأ نتيجة للتفاعل بين القارئ والنص أي بوصفه أثرا يمكن ممارسته وليس موضوعا يمكن تحديده، ومن دون هذا القارئ لا يمكننا أن نفهم جيدا تاريخ الأجناس الأدبية، ومصير الأدب الجيد والأدب المتواضع، واستمرارية بعض الأنواع الأدبية أو تراجعها[١].

الجديد في أفق التوقع:

لقد حدد ياوس المتلقي بأفقين، أفق سابق يكون عليه القارئ قبل شروعه في قراءة النص، ولهذا الأفق مكوناته كالقناعات ودرجة الثقافة المتشكلة بفعل قراءات سابقة، والتي تحدد بمجملها مرجعيته الذهنية، وأفق حاضر يبدأ بالتشكل لحظة البدء بفعل التلقي، ولهذا يقول ياوس: إن النص الجديد يستدعي إلى ذهن القارئ وأفق الانتظار يعرفه بفضل النصوص السابقة، وأي جنس أدبي هو عملية تطور متواصلة في خلق آفاق جديدة للتوقع والتفسير.

ومن المهم تمييز نوعين من أفق التوقع:

---

(١) العمري،محمد: في نظرية الأدب، في نظرية الأدب مقالات ودراسات، الرياض، مؤسسة اليمامة، ١٩٩٧،ص ١١٦.

١- أفق توقع الجمهور: يتشكل هذا الأفق من التجارب الجمالية لأولئك الذين يقرؤونه، فهو شبكة تفسيرية خفية، يسبق العمل في الوجود لأن لكل قارئ ماضيه الخاص به(١).

٢- أفق توقع العمل: يندمج هذا مع القارئ الضمني الذي هو تصور يضع القارئ في مواجهة النص في صيغٍ وموقع نصي يصبح الفهم بالعلاقة معه فعلا(٢).

وركزت دراسات التلقي على فحص العلاقات بين أفق توقع العمل وأفق توقع الجمهور، وفي هذا السياق يكتسب أفق التوقع مغزى جديدا، فهو يشتمل على الرغبات والمطالب، والطموحات والمعايير والقيم الأدبية، ولذا فإن العمل الأدبي يستقبل ويقوَّم على ضوء خلفية من الأشكال الفنية الأخرى، وعلى ضوء خلفية من تجربة الحياة اليومية(٣).

≅ ≅ ≅

(١)ستاروبيسنكي، جان،في نظرية التلقي، المرجع السابق، ص ٦٧.
(٢)إيزر، فعل القراءة، نظرية الوقع الجمالي ،ترجمة أحمد المديني، مجلة آفاق المغربية، ع٦، ١٩٨٧، ص ٣١.
(٣)هولب، روبيرت، نظرية التلقي، المرجع السابق، ص ١٧٣.

الفصل الثاني الدراسة التطبيقية

كسر أفق التوقع:

نظرية التلقي تنمو لدى مستقبل النص، ويكون المتلقي له القدرة على توقع بعض الدلالات والمعاني، ولكن هذا التوقع لا يستتبع بالضرورة تطابق المعاني التي نتوصل إليها مع تلك التي نتحدث عنها في السابق، حيث يخيب ظن المتلقي في مطابقة معاييره السابقة مع معايير العمل الجديد وهذا هو الأفق الذي تتحرك في ضوئه الانحرافات أو الانزياح عما هو مألوف(١).

ونطبق نظرية أفق التوقع عند القارئ على هذا النص وهي قصة قصيرة بعنوان:

يا أيها الكرز المنسي(٢): شهقت ضيعتنا مدهوشة لما علمت أن عمر القلسم قد صار وزيرًا، وها هي ذي ضيعتنا يا عمر كما تركتها وردة من طين، وعشبًا أصفر، ونهرًا من الأطفال الحفاة . وارتبك عمر قليلاً، ولكنه قال لأمه: "لا داعي إلى البكاء. لست ذاهبًا إلى المشنقة". فمسحت أمه دموعها بأصابعها، وقالت بصوت مرتعش:"ليس لي غيرك في الدنيا. احرص على صحتك يا بني، فالقرى كلها أمراض وأوساخ. مسكين أنت. لو كان لك قريب مهم لما عينت معلمًا في قرية".

فقال لها عمر بلهجة مرحة: "اطمئني يا أمي اطمئني، فابنك ليس زجاجًا سهل الكسر". عمَّ ضيعتنا الفرح، ورحبت بحرارة بذلك النبأ الذي أذاعه الراديو. إذن عمر القلسم صار وزيرًا، فسبحان من يعطي دون أن

---

(١)صالح، بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المرجع السابق. ٤٦.
(٢)زكريا تامر. دمشق الحرائق، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م، رياض الريّس للكتب والنشر. ص، ص.٢٨- ٣٥.

يسأل، وصدق من قال إن من جدّ وجد.

"ماذا يشتغل الوزير؟". "تخصص له سيارة أحلى من أجمل بنت" "ويقبض في آخر كل شهر معاشًا يتيح له أن يأكل خروفًا في كل يوم". "وعندما يدخل إلى مبنى وزارته، يرتجف الموظفون خوفًا ويسلمون عليه ويأمر فيطاع".

"وإذا أمر الآغا فهل يطيع الآغا".

وحدق أهل الضيعة بوجوم وفضول إلى شاب نزل من الباص الآتي من دمشق. كان شابّا مرفوع الرأس، ذا عينين وديعتين وصارمتين في آن واحد. سلّم علينا كأنه واحد من أهلنا غاب عنا زمنًا ثم عاد. قال لنا إن اسمه عمر القاسم،

وهو معلم المدرسة الجديد.

وقال واحد من أهل الضيعة: "يجب أن نذهب إلى دمشق لتهنئته".

قال آخر بحماسة: "سنذهب كلنا.. الرجال والنساء والصغار".

وقال ثالث: "ستذهب أيضًا الأبقار والخراف والدجاج والأرانب".

قال رابع: "الفكرة عظيمة، ولكن من سيدفع أجرة الباص؟ هل نذهب سيرًا على الأقدام؟".

ران الصمت حينًا، ثم قال رجل عجوز: "يكفي أن يذهب واحد منا ويهنئه باسم الضيعة. هو يعرف

حالنا، ولن يعتب علينا".

"ولكن من سيذهب؟".

قال العجوز:" اختاروا من تشاؤون. فليذهب مثلاً أبو فياض".

فحاول أبو فياض الرفض، غير أن أصواتنا حاصرته قائلة:

"أنت أعقلنا".

"وأكبرنا سنّا وقدرًا".

"وأنت تتقن الكلام حتى مع الملوك".

"كان عمر يحبّك".

"دائمًا كان يشرب الشاي عندك".

"كان يحب حديثك".

"كان صديقك".

قال أبو فياض: "ولكن عمر كان أيضًا صديقكم وكان يحبكم. أنسيتم؟".

ونظر عمر بحب إلى الأولاد المسمَّرين على المقاعد، وقال لهم: "أنا معلمكم الجديد. اسمي

عمر... عمر القاسم .إني أحب المجتهدين .أما الكسالى فمن الأفضل لهم أن يتخلوا عن كسلهم

وإلاّ...

ورفع رجل أشيب طفله الصغير إلى أعلى بحركة فخور، وقال: "سأسميه عمر كاسم جده". ونظر إلى الأم الشاحبة الوجه المستلقية على الفراش، وضحك، وقال لها: "لو كان يعرف ما ينتظره لرفض المجيء، ويوم أموت لن يرث سوى ثيابي". وقلنا لأبي فياض: "لا فائدة في التهرب. ستذهب إلى دمشق وتقابل عمر وتهنئه" . فهزّ أبو فياض رأسه

موافقًا مستسلمًا.

وقال مختار الضيعة لعمر: "يا أستاذ.. حتى الآن لم تذهب لزيارة الآغـــــــــــــــا".

قال عمر: " لماذا أذهب ما دمت لا أعرفه، وهو لا يعرفني" .

قال المختار: "اللباقة ضرورية، والآغا سينفعك، فكل ما تراه عينك من أراض في الضيعة هي ملكه". قال عمر: "أبي وأمي لم يعلِّماني اللبّاقة، وعملي في الضيعة أن أعلِّم الصغار القراءة والكتابة" . وقال أهل الضيعة لأبي فياض : "قل لعمر إننا ما زلنا جياعًا". قل له إن جوعنا ازداد "بتنا نأكل حتى الحصى" . "حدثه عن القمل الذي يأكلنا" . "وعن اللحم الذي نسينا طعمه". "حدّثه عن أمراضنا" ."قل له إننا بحاجة إلى أطباء وأدوية".

"ضيعتنا بحاجة إلى ماء نظيف للشرب" . "حدّثه عن شوقنا إلى نور الكهرباء". "كلّمه عن الآغا وأفعاله" . "نحن نشتغل وهو يحصد". "نحن نشتغل وهو يحصد".

وقال رئيس مخفر الشرطة لعمر: "إني والله يا أستاذ أعُدُّك كأخي تمامًا، وسأنصحك نصيحة، أنت حر، إن شئت اعمل بها أو ارمها وراء ظهرك. أنت دائم السهر مع فلاحي الضيعة، ولا يليق بأستاذ مثلك أن يسهر معهم. معلم المدرسة شخصية محترمة". قال عمر: "فلاحو الضيعة ناس طيبون". قال رئيس المخفر: "وأنت تكلمهم كلامًا إذا سمعه الآغا فسيزعل، وإذا زعل الآغا، فالله يعلم ما يحدث". وصاح شاب من شبان الضيعة: "اسمعوا.. من المناسب أن يأخذ أبو فياض معه هدية لعمر".

فتعالت أصواتنا مؤيدة، ولكن أي هدية نختار؟

"خـروف أو عـدة دجاجـات". "هـذه هديـة لا تليـق بـوزير".

"إذن أي هدية نرسل؟ " قال أبو فياض: "أفضل هدية هي سلة من كرز ضيعتنا. أتذكرون كم كان عمر يحب كرز ضيعتنا، ويقول عن لونه الأحمر إنه تعبنا ودمنا". فأثنينا جميعًا على رأي أبي فياض . وقال لنا عمر:"الظلم لا يدوم" . وقال لنا: "كيف تقبلون بحياة الذل! " فقلنا له: "العين بصيرة واليد قصيرة". فقال عمر بصوت غاضب: "اليد قصيرة لأن القلب خائف".

وأقبل ليلٌ أبيضُ، واستسلمت الضيعة للنوم، وكنا نحن الفقراء جسدًا واحدًا مرتجفًا مبتهجًا ينادي أيام كنا ننصت لكلام عمر مبهورين، فكأنه عاش أمدًا في قلوبنا وقلوب موتانا . وعندما أشرقت شمس الصباح على الضيعة، تجمّع الرجال والصغار والنساء حول الباص المسافر إلى دمشق. وقال لنا عمر قبل أن يصعد إلى الباص:" الآغا صاحب نفوذ وجاه في دمشق، وهو الذي نقلني من ضيعتكم لأني لم أصبح خادمًا له ولأني أحبكم، ولكن اليوم الذي تتخلصون فيه من ذلك الآغا وأمثاله ليس بالبعيد بل هو قريب، وسترونه أنتم لا أحفادكم، وستصبح الأرض التي تشتغلون فيها ملكًا لكم". وركب أبو فياض الباص وبرفقته سلة ملأى بالكرز الأحمر ذي الحبات الناضجة البراقة . ولما أوشكت شمس الضيعة أن تأفل، بلغ سمعنا بوق الباص العائد من دمشق، فتراكضنا إلى ساحة الضيعة . أتي الباص، ونزل منه أبو فياض عابس الوجه، واجمًا، وكانت

إحدى يديه ما زالت تحمل سلة الكرز.

تصايحنا بدهشة : "لماذا لم تعط عمر سلة الكرز"." ألم تقابله". " ماذا قال لك". ظل أبو فياض ساكتًا كأنه أصمّ، ووضع سلة الكرز على الأرض، وتكلم بصوت أجش، فقال للصغار:"تعالوا وكلوا الكرز، وعندما تكبرون لا تنسوا طعمة". ثم مشى متجهًا إلى بيته، فاعترضنا طريقه، وقلنا له: (تكلم، وأخبرنا بما حدث. قال أبو فياض: "عمر مات" . فزعلنا كأن أمنا قد ماتت، بينما عاود أبو فياض السير وقد ازداد ظهره انحناء(١).

فكرة القارئ في تلقي النص:

نجد في هذه القصة ما يسمى بكسر حاجز التوقع الذي هو في نظر "جماليات التلقي شيء ينم عن أن القراءة المنتجة تضيف للنص شيئا جديدا(٢)". وكذلك بعض الأعمال تكسر أفق توقع القارئ، وتحقّق نجاحاً باهراً، لأن انسجام العمل الأدبي مع أفق توقعات القارئ لا يصدمه، ولكن خيبة أفق التوقع لدى القارئ تدفعه إلى الحوار مع العمل، وكلما كان العمل منزاحاً عن معايير المتلقي الجمالية كان ذا قيمة جمالية أكبر،أما إذا ائتلف مع أفق توقعاته فهو عمل مبتذل.

وهذا ما حدث لأهل القرية الصغيرة عندما عين عمر القلسم وزيرا،

---

(١)زكريا تامر. دمشق الحرائق، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م، رياض الريّس للكتب والنشر. ص، ص.٢٨- ٣٥.

(٢)ابن حدو،رشيد، القوام الإبستمولوجي لجمالية التلقي، مجلد٩، ج٣٦، ص، ص ٣٨٦- ٣٩٥.

وعقدوا الأمل الكبير في تحقيق المصالح التي كانوا يحلمون بها ومن ذلك انتشالهم من هوة الفقر، وتحقيق العدل وقمع الظلم الذي يمارسه عليهم الآغا.

ولكن خيبة الأمل وكسر الأفق المتوقع المأمول لحظة تحول عمر القاسم عن المبادئ الجوهرية عندما أصبح وزيرا، ولم يلبِ لأهل القرية مطالبهم.

وأفق التوقع " يمثل الفضاء الذي يتم من خلاله عملية بناء المعني، و رسم الخطوات المركزية للتحليل، و دور القارئ في إنتاج المعني عن طريق التأويل الأدبي الذي هو محور اللذة، ونبه "ياوس "على مفهوم تغير الأفق أو بناء أفق جديد يدعوه بالمسافة الجمالية أي المسافة الفاصلة بين الانتظار الموجود سلفا و العمل الجديد، حيث يمكن للتلقي أن يؤدي لتغير الأفق بالتعارض الموجود مع التجارب المعهودة وبذلك يخيب ظن المتلقي في مطابقة معاييره السابقة مع معايير العمل الجديد، و هذا هو الأفق الذي تتحرك في ضوئه الانحرافات أو الانزياح عما هو مألوف،وقد تفرع عنه مفاهيم أخرى مثل مفهوم تغيير الأفق، ومفهوم اندماج الأفق، ومفهوم المنعطف التاريخي[١].

≅ ≅ ≅

(١)صالح، بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المرجع السابق.ص ٤٥.

الخاتمـــــــــــــة

- تناولت في هذا البحث أفق التوقع عند القارئ في ضوء النقد الأدبي الحديث، وكانت نتائج البحث كتالي:
- جاء منهج التلقي ليركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي لقصدَ تأويل الصور المتخيلة ومدى انطباعه عن تلك الأعمال الأدبية.
- هدف نظرية التلقي تجديد التاريخ الأدبي وتفعيله، ونقل مركز الاهتمام من المبدع إلى القارئ الجديد الذي يحمل معه تجربته الخاصة وثقافته عصره.
- وركزت دراسات التلقي على فحص العلاقات بين أفق توقع العمل وأفق توقع الجمهور، وفي هذا السياق يكتسب أفق التوقع مغزى جديدا، فهو يشتمل على الرغبات والمطالب، والطموحات والمعايير والقيم الأدبية.
- إن أفق التوقع هو مفهوم جمالي يلعب دوراً مؤثراً في عملية بناء العمل الفني والأدبي، وفي نوعية الاستقبال التي يلقاها ذلك العمل انطلاقاً من المتلقي الذي يُقبل على العمل وهو يتوقع أو ينتظر شيئاً ما.
- مستقبل النص، يكون له القدرة على توقع بعض الدلالات والمعاني، ولكن ليس بالضرورة تطابق المعايير السابقة مع معايير العمل الجديد وهذا هو أفق التوقع الذي تتحرك في ضوئه الانحرافات أو الانزياح عما هو مألوف.
- وأخيراً، فقد بيّنت الدراسة في هذا البحث أن أفق التوقع يمثل الفضاء الذي يتم من خلاله عملية بناء المعني، و رسم الخطوات المركزية للتحليل، و دور القارئ في إنتاج المعني عن طريق التأويل الأدبي

الذي هو محور اللذة في الأعمال الأدبية.

≅ ≅ ≅

المصادر و المراجع

- إسماعيل، سامي، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفغانج إيزر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- بو حسن، أحمد، نظرية التلقي في النقد الأدبي العربي الحديث، دراسة منشورة في كتابة نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٥م.
- محمد، عبد الناصر حسن ، نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، دار النهضة العربية، القاهرة،٢٠٠٢م .
- ستاروبيسنكي، جان، وآخرون ، في نظرية التلقي، ترجمة غسان السيد، دار الغد، دمشق ٢٠٠٠م.
- الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد ، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
- هولب، روبرت ، نظرية الاستقبال، ترجمة رعد عبد الجليل اللاذقية، دار الحوار، الطبعة الأولى١٩٩٢م.
- هانس روبيرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- صالح،بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠١م.
- خضر،ناظم:الأصول المعرفية لنظرية التلقي،عمّان،دار الشروق،

الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- خليل،إبراهيم: النقد الأدبي الحديث، دار المسيرة،عمّان، ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

- العمري،محمد: في نظرية الأدب مقالات ودراسات، الرياض ،مؤسسة اليمامة،١٩٩٧ م.

- زكريا تامر، دمشق الحرائق، رياض الريّس للكتب والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

الدوريـــــــــات:

- ابن حدو،رشيد، القوام الإبستمولوجي لجمالية التلقي، علامات، مجلد٩، ج٣٦، ص ٣٨٦- ٣٩٥.

- إيزر، فولفغانج ،فعل القراءة، نظرية الوقع الجمالي، ترجمة أحمد المديني؛ آفاق المغربية، العدد٦، ١٩٨٧.

- صالح،فخري، هانز روبرت ياوس من توقعات القارئ إلى معنى التجربة، علامات في النقد، مجلد ٨، ج٣٢، ١٩٩٩.

- ياوس، هانس روبيرت،جمالية التلقي والتواصل الأدبي، الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، عدد ٣٨، ص١١٢.

≅ ≅ ≅

فهـــــرس المحتويـــــات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية	٥٥١
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	٥٥٢
المقدمة	٥٥٤
الفصل الأول: الدراسة النظرية لأفق التوقع	٥٥٦
التعريف بمفهوم أفق التوقع	٥٥٦
أهمية أفق التوقع	٥٥٩
أفق التوقع البداية والامتداد	٥٦٣
الجديد في أفق التوقع	٥٦٤
الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية	٥٦٦
كسر أفق التوقع	٥٦٦
نص التطبيق (يا أيها الكرز المنسي)	٥٦٦
فكرة القارئ في تلقي النص	٥٧١
الخاتمـــــــــــة	٥٧٣
المصادر والمراجع	٥٧٤
فهرس المحتويات	٥٧٦